الخلافة الراشدة تصون المرأة وتحفظ كرامتها وحقوقها

مائة وواحدة من السنوات مرت على هدم دولة الخلافة، لقد كان لهذا الحدث الكارثي آثار مدمرة على حياة المسلمات وأبنائهن وأسرهن؛ فقد فقدن دولة لطالما كانت وصية عليهن وحامية لحقوقهن لقول النبي ﷺ: «**الإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**». فقد ابتليت المسلمات بالموت والدمار والفقر والعوز، فالإسلام رفع من شأن كرامة المرأة، وهناك أدلة كثيرة في الإسلام تُلزم الرجال والمجتمع بمعاملة المرأة والنظر اليها باحترام، وحفظ كرامتها دائماً، قال النبي ﷺ: «**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْراً**» رواه مسلم. لذلك فإن الخلافة ستجعل من كرامة المرأة وأمنها ركيزة أساسية لسياسة الدولة، "الأصل في المرأة أنها أم وربة بيت، وهي عرض يجب أن يصان" (المادة ١١٢ من دستور دولة الخلافة)، وستشجع الدولة التقوى والوعي بأحكام الإسلام داخل المجتمع ما سيعزز قيم المسئولية في الطريقة التي ينظر بها الرجال إلى النساء ويعاملونهن بها، وسوف تتخذ الخلافة أنظمتها السياسية والتعليمية والإعلامية، وكذلك جميع السبل الأخرى المتاحة لتعزيز نظرة الاحترام للمرأة.

يحرم الإسلام أي شكل من أشكال العنف ضد المرأة سواء في المنزل أو في الشارع، قال النبي ﷺ: «**لاَ تَضْرِبُوا إِمَاءَ اللَّهِ**»، والمادة ١١٩ من مشروع دستور دولة الخلافة: "يمنع كل من الرجل والمرأة من مباشرة أي عمل فيه خطر على الأخلاق، أو فساد في المجتمع"، يضع النظام الاجتماعي الإسلامي الشامل حفظ كرامة المرأة في صميم أحكامه.

المادة ١١٣ "الأصل أن ينفصل الرجال عن النساء ولا يجتمعون إلا لحاجة يقرها الشرع، ويقر الاجتماع من أجلها كالحج والبيع".

المادة ١١٨ "تمنع الخلوة بغير محرم، ويمنع التبرج وكشف العورة أمام الأجانب".

ويوفر النظام الاجتماعي الإسلامي إطارا يمكن من خلاله حفظ كرامة المرأة عمليا:

أولاً: من خلال إعادة تطبيق مبدأ أن المرأة ليست سلعة يتم عرضها.

ثانياً: من خلال خلق بيئة عفيفة نقية.

كل هذا يساعد على الحفاظ على المرأة، وتقليل العنف والجرائم الأخرى ضدها وستكون النتيجة إنشاء مجتمع في ظل الخلافة ستتمكن النساء فيه من الدراسة والعمل والسفر في بيئة آمنة، ومن خلال نظامها التعليمي والقضائي تسعى الخلافة للقضاء على المواقف الثقافية التي تقلل من شأن المرأة أو تسلبها حقوقها الشرعية، فضلا عن القضاء على الممارسات التقليدية القمعية مثل الزواج القسري، وجرائم الشرف، وسيحظر أيضا نشر أية أفكار أو صور أو كتب أو مجلات تقلل من شأن المرأة، وستطبق الخلافة عقوبات قاسية وفقا للإسلام على أي شكل من أشكال الإساءة ضد المرأة بما في ذلك العنف والاغتصاب، وتشمل هذه الأحكام الجزائية عقوبة القذف أو عقوبة الإعدام بالنسبة للجرائم الأخرى المخلة بكرامتهن، فالدولة ملزمة بأن يكون لديها نظام قضائي فعال للتعامل مع الجرائم بسرعة بحيث تكون المرأة قادرة على التماس العدالة على وجه السرعة وبسهولة عن أي انتهاكات لشرفها أو حقوقها، فواجب الإسلام الذي يفرض أن يكون الرجال أولياء أمور زوجاتهم وأطفالهم يلزمهم بحماية صحتهم وحمايتهم من الأذى وإلا تكون وظيفتهم مجرد الاستبداد والقيادة، وهذه المسئولية الكبيرة (القوامة) تقلل أيضا من العنف ضد المرأة. "الحياة الزوجية حياة اطمئنان، وعشرة الزوجين عشرة صحبة. وقوامة الزوج على الزوجة قوامة رعاية لا قوامة حكم وقد فرضت عليها الطاعة، وفرض عليه نفقتها حسب المعروف لمثلها". (المادة ١٢٠)

وقد أوضح الإسلام حقوق الزوجة على الزوج وربط علاقتهما في الحياة الدنيا بهذه الأحكام التي تقلل من القسوة، وسوء المعاملة تجاه المرأة. وتبين سجلات المحاكم من زمن الخلافة أن الأزواج الذين كانوا عنيفين تجاه زوجاتهم عاقبتهم الدولة بما ذلك السجن في بعض الأحيان، وغالباً ما كان القضاة يجعلون الزوج يقبل بالشرط القائل بأنه إذا كان عنيفا تجاه زوجته مرة أخرى فسيتم طلاقهما دون أن تتخلى الزوجة عن حقوقها المالية والزوجية.

ستتخذ الخلافة خطوات مكثفة لحفظ كرامة نسائها بما في ذلك حشد جيوشها ضد القوات الأجنبية التي تهدد المرأة، لأن حفظ شرف المرأة مكانة عظيمة في الإسلام. ولكن على مدار العقود الماضية نجد نماذج من المآسي لا حصر لها، ففي كل فصل شتاء يعاني اللاجئون في المخيمات البرد والصقيع والسيول التي تجرف الكثير من الخيام. أما في الصين، وبحسب محلفي محكمة الإيغور التسعة في المملكة المتحدة في مجال حقوق الإنسان في جلسة استماع، فقد استمعت لجنة تحقق في أوضاع (أقلية) الإيغور المسلمة في الصين إلى إفادات الشهود الذين تحدثوا عن عمليات تعذيب واغتصاب جماعي. أما في الهند فالمسلمات يضطهدن ويعنفن وتهتك أعراضهن على يد الحكومة، إلى ما يسمونه التطهير أو إعادة الملايين من الهنود الذين اعتنقوا الإسلام إلى الهندوسية، فمنعت الزي الشرعي في المدارس، وحرمت المسلمات من دخول الجامعات فقامت طالبة مسلمه تكبر وسط جمع من هؤلاء الكفرة غير مبالية بتهديداتهم معتزة بحجابها قوية أبية فضربت مثلاً في الثبات والصمود والدفاع عن خمارها.

أما في دارفور فأدى انعدام الأمن إلى شلالات من الدماء وقتل النفس المعصومة بغير حق، وقد خلقت هذه الأوضاع مأسي وآلاماً يشيب لها الولدان خاصة على المرأة، فقد نقل موقع سودان تريبون يوم ٢٠١٧/٢/٢ أكد فيه المدعي العام لحرائر دارفور الفاتح محمد طيفور تدوين ١٠٠ بلاغ اغتصاب بولاية دارفور خلال العام، وما زال القتل والترويع مستمرا رغم ما يسمى باتفاقية سلام جوبا التي زادت المحاصصات والنزاعات. أما مآسي الأطفال فاسأل عنها مخيمات اللاجئين التي تتكرر فيها مآس يندى لها الجبين من الأمراض والموت جوعاً أو الموت حرقاً بين الخيم والتجمد في الشتاء.

أما في السويد فقد بلغ عدد الأطفال الذين يتم اختطافهم بواسطة الحكومة ١٢٥ ألف طفل من أبناء المسلمين وحرق قلوب آبائهم عليهم ثم إرجاعهم وهم لا علاقة لهم بالإسلام، وبالإهمال تتكرر مآسي الأطفال مثل الطفل ريان في المغرب وحيدر في أفغانستان وغيرهم الكثير من أبناء المسلمين.

مع هذا الواقع الذي يعيشه الأطفال والنساء في بلاد المسلمين تتعرض الأسرة لشن الحملات الفكرية الرأسمالية المبرمجة والمدروسة على بلاد المسلمين وكانت المرأة من أهم المستهدفين في هذه الحملة، ومن هذه البرامج اتفاقيات الأمم المتحدة التي تفرض على المرأة المسلمة بواسطة الحكومات الذليلة التابعة، ومنها اتفاقية بيجين واتفاقيه سيداو التي تزيد خلط الأوراق بتحميل المرأة دور الرجل وتحميل الرجل دور المرأة، ولكن هيهات هيهات! فقد كرم الله سبحانه وتعالى المرأة في الإسلام وأنزلها منزلة رفيعة تليق بها وحررها من قيود الظلم والقهر فلم تعد مطية تتسلق فوقها وباسمها أفكار الديمقراطية الرأسمالية الغربية وروادها. ولم يكن هذا التكريم فيما اختصت به بأنها أم وربة بيت وعرض يجب أن يصان فحسب، بل جعل لها أدوارا في الحياة من خلال أحكام شرعية خاطب بها المرأة والرجل على السواء وهو العمل السياسي، إذ يشمل أموراً عظيمة مثل حمل الدعوة وتحمل الأذى في سبيلها والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل في حزب سياسي على أساس الإسلام، لمحاسبة الخليفة إن لم يحسن تطبيق الإسلام، والعمل لاستئناف الحياة الإسلامية بإقامة دولة الخلافة إن لم تكن قائمة.

أما حمل الدعوة وتحمل الأذى فقد كان للمرأة منذ فجر الإسلام النصيب الوافر في ذلك، فمواقف أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها المؤازرة للرسول ﷺ من أول بعثته، وسمية أول شهيدة في الإسلام، وغيرهن من الصحابيات الجليلات هي مواقف مضيئة في تاريخ الإسلام، وبهذا فقد ضربت الصحابيات مثالا ساميا في التضحية والصبر على الأذى، ثم كانت الهجرة إلى الحبشة ثم الهجرة من مكة إلى المدينة. ومثال للمهاجرات أسماء بنت أبي بكر وأم سلمة وأم أيمن وغيرهن رضي الله عنهن جميعاً.

وأما العمل السياسي في حزب سياسي قائم على أساس الإسلام لمحاسبة الخليفة فهو أيضا من الأعمال التي يستوي فيها الرجال والنساء، ونرى أن النساء في زمن الخلافة الراشدة قد التزمن بحكم المحاسبة ومارسنها دون إنكار من الصحابة، فحين تولى عمر الخلافة اعترضت طريقه خولة بنت ثعلبة وقالت له ناصحة كنا نعرفك عويمراً ثم أصبحت عمر بن الخطاب أمير للمؤمنين، فاتق الله يا عمر فيما أنت مستخلف فيه. كما أن للمرأة في الإسلام أن تترشح لمجلس الأمة باعتبارها وكيلاً عن الأمة في المحاسبة وفي الرأي العام، وثبت عن سيدنا عمر أنه كان حين تعرض عليه نازلة يدعو المسلمين إلى المسجد وكان يدعو النساء والرجال ويأخذ رأيهم جميعا.

وأما عمل الحزب لاستئناف الحياة الإسلامية بإقامة دولة الخلافة إن لم تكن موجودة كما هو الحال اليوم فمن الأدلة قوله ﷺ: «... **وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»، وإن نسيبة بنت كعب وأم عمارة وأسماء بنت عمر، وأم منيع بايعن الرسول ﷺ بيعة العقبة الثانية، وقد بايع رسول الله ﷺ النساء اللواتي هاجرن بعد إقامة الدولة. وعليه فإن الميتة الجاهلية تشمل النساء أيضا ممن لم تكن في أعناقهن بيعة أو لم يتلبسن بالعمل لإيجاد خليفة يستحق البيعة.

فهذه أحكام شرعنا الحنيف المتعلقة بالمرأة ودورها السياسي في ظل الخلافة. فللمرأة مكانة عظيمة في ظل الخلافة فقد كانت تجيش الجيوش من أجل امرأة عندما كانت أمتنا في زمن العزة، وعندما كانت تجري النخوة في عروق رجالها والشهامة في دماء شبابها، يوم كانت لنا عزة، يوم كانت لنا كرامة، يوم كانت لنا مكانة، يوم كانت لنا دولة، يوم كنا نعمل بمقولة عمر "**إنا قوم أعزنا الله بالإسلام، فإن ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله**". ألا تعلمون أن صرخات النساء المسلمات عندما وجدت حكاما غيورين وجنودا شجعان مؤمنين تغار على دينها وكرامتها وعرضها كانت سبباً لأن تقام للدين أرض منذ مئات السنين؟ فلا تعجب، فما جيش رسول الله ﷺ جيشاً في المدينة إلا ثأراً لمسلمة انتُهك عرضها من يهودي، وما فتحت الهند والسند إلا استجابة لنداء مسلمات يتامى صرخن وا حجاجاه، وما فتحت عمورية إلا بصرخة وا معتصماه، وما وصلت جيوش ابن أبي عامر إلى أقصى جنوب فرنسا (مملكة نافار) إلا استجابة لثلاث مسلمات أسرن في كنيسة.

فواجب المسلمين اليوم هو العمل مع العاملين لإقامتها خلافة راشدة على منهاج النبوة، وهي فرض على كل مكلف ذكراً كان أم أنثى طالما أن الحكم بما أنزل الله غير موجود، وهو فرض، وإن الخلافة هي التي تطبقه (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)، فهيا أيها المسلمون للإطاحة بالطواغيت حكام دويلات الضرار فبادروا ولا تدخروا وسعاً في إنجاز هذا العمل الجليل. ﴿**وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾.

#أقيموا_الخلافة #الخلافة_١٠١ #ReturnTheKhilafah #YenidenHilafet

كتبته للمكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

رانيا جعفر (أم مؤتمن) – ولاية السودان